أثر المدرسة السلفية الإصلاحية القديمة والمعاصرة في التفسير الموضوعي تأصيلا وتطبيقا

THE EFFECT OF THE OLD AND CONTEMPORARY SALAFI REFORM SCHOOL IN THE THEMATIC INTERPRETATION (*establishing and applying*)

Pr. Boubakeur KAFI **الأستاذ الدكتور: بوبكر كافي**
University of AMIR Abdelkader, Constantine **جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة**
kafi_baker@hotmail.com

Dr. Houda HARRAK **الدكتورة: هدى حراق**
University of AMIR Abdelkader, Constantine **جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة**
hkafi10@gmail.com

استلم:	2018/03/25	***Received*:**	قُبل للنشر:	2018/07/18	***Accepted:***

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان الجهد العلمي الكبير الذي أسهم به شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه كابن القيم وابن كثير في تأصيل قواعد التفسير الموضوعي، وتطبيقه في تفسير القرآن الكريم، والذي اتخذ عندهم أشكالا مختلفة وأنماطا متعددة، كما عرضنا لامتدادات هذه المدرسة السلفية الإصلاحية في العصر الحديث والمعاصر على يد أبرز المفسرين في المشرق والمغرب، انطلاقا من الشيخ محمد رشيد رضا في مصر، ، والشيخ عبد الحميد ابن باديس في الجزائر، والشيخ عبد

الرحمن بن ناصر السعدي، والشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في الحجاز،وغيرهم ممن جعل من التفسير الموضوعي أسلوبا ناجعا لمعالجة مشاكل الواقع الاجتماعي والثقافي والفكري في العالم العربي والإسلامي .

الكلمات المفتاحية: التفسير؛ التفسير الموضوعي؛ المدرسة السلفية؛ التفسير الاجتماعي الإصلاحي.

Abstract

The purpose of this intervention is to demonstrate the great scientific effort contributed by Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah, and his disciples such as Ibn al-Qayyim and Ibn Katheer in establishing the rules of Thematic Interpretation and applying it to the interpretation of the Holy Quran, Which has taken many different forms and patterns, and we tackled also the extensions of this reform Salafist school in the modern contemporary era by the most prominent interpreters in the Arab East and West, starting from Sheikh Mohammed Rashid Rida in Egypt, Sheikh Abdelhamid Ibn Badis in Algeria, Sheikh Abderrahmane Ibn Nacer El-Saadi, Sheikh Mohammed Al-Amin Al-Shankiti in Hijaz, and others who made the Thematic interpretation an effective way to treat the problems of Social, cultural and intellectual reality in the Arab and Islamic world.

Keywords : *Tafsir; Thematic Interpretation; Salafi School; Social Reform Interpretation.*

مقدمة:

يرى البعض أن التفسير الموضوعي وليد العصر الحديث، ولون من ألوان التفاسير التي لم يعرفها العلماء المتقدمون، ولم يجر في مضمارها السلف الصالحون، بل يجاوز بعضهم ذلك إلى وصفه بالبدعة، ونعته بالإحداث وتنكب التفسير المنقول عن الأئمة من أهل السنة، في فهم كتاب الله وتأويله التأويل الصحيح، ومتابعة أهل الانحراف والضلال، من فرق قديمة أو معاصرة، فأردنا أن نبين في هذا البحث مساهمة مدرسة الإمام ابن تيمية وتلاميذه قديما وحديثا في التأصيل للتفسير الموضوعي وتطبيقه، باعتبارها المدرسة الكبرى التي كان لها أثر بارز في الإصلاح الديني الشامل، بل سبقها بذلك غيرها في تبني منهج التفسير الموضوعي وتوظيفه في الإصلاح، وامتداد هذا المنهج في أتباع هذه المدرسة الأثرية الإصلاحية في العصر الحديث والمعاصر، وإسهامهم بقوة في هذا المنهج التفسيري، وإثرائهم للدرس التفسيري بمؤلفات وتفاسير كان لها أثر كبير في العلم والدعوة والإصلاح، ورأينا تناول هذا الموضوع ضمن الخطة الآتية:

المبحث الأول : مساهمة المدرسة السلفية القديمة في التفسير الموضوعي

المطلب الأول: مساهمة شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير الموضوعي تأصيلا وتطبيقا.

المطلب الثاني: مساهمة الإمام ابن القيم في التفسير الموضوعي تأصيلا وتطبيقا.

المطلب الثالث: مساهمة الإمام ابن كثير في التفسير الموضوعي تأصيلا وتطبيقا.

المبحث الثاني: مساهمة **المدرسة السلفية المعاصرة في التفسير الموضوعي**

المطلب الأول: مساهمة الشيخ محمد رشيد رضا في التفسير الموضوعي

المطلب الثاني: مساهمة الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس في التفسير الموضوعي

المطلب الثالث: مساهمة الشيخ العلامة ناصر السعدي في التفسير الموضوعي

المطلب الرابع: مساهمة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في التفسير الموضوعي

خاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وسنشرع بعون الله وتوفيقه في تتبع أثر هذه المدرسة قديما وحديثا، مبتدئين بإمام هذه المدرسة ورائدها شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله.

المبحث الأول : مساهمة مدرسة ابن تيمية الأولى في التفسير الموضوعي

المطلب الأول: مساهمة شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير الموضوعي تأصيلا وتطبيقا.

يعد ابن تيمية من أقدم من وضع لبنات التفسير الموضوعي وقعَّد له في كتابه "مقدمة في أصول التفسير" فقال: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسَّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صلي الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن،قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً**﴾ [النساء:105] وقال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 44] وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النحل:64] ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه" يعني السنة والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن لا أنها تتلي كما يتلى. وقد استدل الإمام الشافعي وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلي اليمن: ((بم تحكم؟ قال بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله ،قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي)).قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال: ((الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله)) وهذا الحديث في المسانيد والسنن. بإسناد جيد[1].

وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما

(1) رواه الإمام أحمد في المسند (5/ 230) وأبو داود في السنن برقم (3592) والترمذي في السنن برقم (1328) من طرق عن شعبة عن أبي عون عن الحارث بن عمرو عن ناس من أصحاب معاذ عن معاذ به، وقال الترمذي: "هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل، وأبو عون الثقفي اسمه محمد بن عبيد الله". وللشيخ ناصر الألباني مبحث ماتع بين فيه كلام العلماء في نقد الحديث. انظر: السلسلة الضعيفة برقم (881).

علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه "[1].

وقد طبق الإمام ابن تيمية هذا المنهج أحسن تطبيق فيما فسَّره من كتاب الله تعالى ومعلوم أن لابن تيمية كلاما كثيرا في التفسير، فقد جُمع كلامه في التفسير في عدة مجلدات بعنوان " دقائق التفسير" وأخيرا ظهر عمل علمي أجمع وأحسن بعنوان " الجامع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير " في ستة مجلدات ،وهذا نموذج يُبيِّن ذلك إذ استخرج محاور سورة البقرة ومقاصدها، و سنلخصها من كلامه مع التعليق على كل محور منها ، فقال:

"وَقَدْ ذَكَرْت فِي مَوَاضِعَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ " سُورَةُ الْبَقَرَةِ " **مِنْ تَقْرِيرِ أُصُولِ الْعِلْمِ وَقَوَاعِدِ الدِّينِ** : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَتَحَهَا بِذِكْرِ كِتَابِهِ الْهَادِي لِلْمُتَّقِينَ فَوَصَفَ حَالَ أَهْلِ الْهُدَى ثُمَّ الْكَافِرِينَ ثُمَّ الْمُنَافِقِينَ . فَهَذِهِ " جُمَلٌ خَبَرِيَّةٌ " ثُمَّ ذَكَرَ " الْجُمَلَ الطَّلَبِيَّةَ " فَدَعَا النَّاس إلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّلَائِلَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ فَرْشِ الْأَرْضِ وَبِنَاءِ السَّمَاءِ وَإِنْزَالِ الْمَاءِ وَإِخْرَاجِ الثِّمَارِ رِزْقًا لِلْعِبَادِ"[2]

وهذا هو المحور الأول: وهو تقرير الوحدانية والأمر بعبادة الله وتوحيده، وافتراق الناس في ذلك إلى ثلاث طوائف: مؤمن مصدق وقد حاز الفلاح في الدنيا والآخرة، وكافر مكذب قد خسر الدنيا والآخرة، ومنافق مذبذب،وذكر الآيات الدالة على هذه الحقيقة

ثُمَّ قَرَّرَ " الرِّسَالَةَ " وَذَكَرَ " الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ " ثُمَّ ذَكَرَ مَبْدَأَ " النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى " وَمَا بَثَّهُ فِي الْعَالَمِ مِنْ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ ثُمَّ ذَكَرَ تَعْلِيمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ وَإِسْجَادَ الْمَلَائِكَةِ لَهُ لِمَا شَرَّفَهُ مِنْ الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ هَذَا تَقْرِيرٌ لِجِنْسِ مَا بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ فَقَصَّ جِنْسَ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ انْتَقَلَ إلَى خِطَابِ بَنِي إسْرَائِيلَ وَقِصَّةِ مُوسَى مَعَهُمْ وَضَمَّنَ ذَلِكَ تَقْرِيرَ نُبُوَّتِهِ إذْ هُوَ قَرِينُ مُحَمَّدٍ فَذَكَرَ آدَمَ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ ،وَمُوسَى الَّذِي هُوَ نَظِيرُهُ وَهُمَا اللَّذَانِ احْتَجَّا، فمُوسَى قَتَلَ نَفْسًا فَغَفَرَ لَهُ وَآدَمُ أَكَلَ مِنْ الشَّجَرَةِ فَتَابَ عَلَيْهِ **كُلُّ هَذَا فِي تَقْرِيرِ أُصُولِ الدِّينِ مِنْ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ**."[3]

(1) . مقدمة في أصول التفسير مع شرح الشيخ ابن عثيمين،مدار الوطن للنشر،ص 130 باختصار .

(2) . مجموع الفتاوى، جمع محمد ابن قاسم وابنه، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية: 14 /41. 47

(3) . المصدر نفسه.

وهذا هو المحور الثاني في هذه السورة **وهو تقرير الرسالة** وبيان تتابع الأنبياء على تقرير حقائق التوحيد والدعوة إليه من عهد أول الأنبياء آدم عليه السلام، إلى آخرهم محمد عليه السلام وفي ضمنه خطاب بني إسرائيل والاحتجاج عليهم بما أنعم عليه من النعم، وبما جاءهم من الرسل، يدلونهم على هذه الحقيقة، واتباع الحنيفية الذي جاء بها إبراهيم وهي الإسلام ،وهو عهد الأنبياء عليهم باتباعه والموت عليه.

ثم ذكر المحور الثالث وهو بيان شرائع الإسلام وأحكامه في العبادات والمعاملات والدماء والقصاص والديات والحلال والحرام في الأطعمة ،وغيرها.

"ثُمَّ أَخَذَ سُبْحَانَهُ فِي بَيَانِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الَّتِي عَلَى مِلَّةِ إبْرَاهِيمَ فَذَكَرَ إبْرَاهِيمَ الَّذِي هُوَ إمَامٌ وَبِنَاءَ الْبَيْتِ الَّذِي بِتَعْظِيمِهِ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ عَمَّا سِوَاهُمْ وَذَكَرَ اسْتِقْبَالَهُ وَقَرَّرَ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّهُ شِعَارُ الْمِلَّةِ بَيْنَ أَهْلِهَا وَغَيْرِهِمْ. وَجَاءَ ذِكْرُ الطَّوَافِ بَعْدَ الْعِبَادَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْبَيْتِ – بَلْ وَبِالْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ – بَعْدَ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ الِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ اللَّذَيْنِ لَا يَقُومُ الدِّينُ إلَّا بِهِمَا وَكَانَ ذَلِكَ مِفْتَاحَ الْجِهَادِ الْمُؤَسَّسِ عَلَى الصَّبْرِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ أَمْرِ الْبَيْتِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْمِلَلِ لَا يُخَالِفُونَ فِيهِ فَلَا يَقُومُ أَمْرُ الْبَيْتِ إلَّا بِالْجِهَادِ عَنْهُ وَذَكَرَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَشْرُوعِ وَالْمَقْدُورِ وَبَيَّنَّ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ الْبُشْرَى لِلصَّابِرِينَ فَإِنَّهَا أُعْطِيَتْ مَا لَمْ تُعْطَ الْأُمَمُ قَبْلَهَا فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهَا وَشَعَائِرِهَا كَالْعِبَادَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْبَيْتِ ؛ وَلِهَذَا يَقْرِنُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ لِدُخُولِ كُلٍّ مِنْهُمَا فِي سَبِيلِ. وَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ بِذَمِّهِ لِكَاتِمِ الْعِلْمِ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ دِينًا غَيْرَ ذَلِكَ . فَفِي أَوَّلِهَا:﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾ وَفِي أَثْنَائِهَا﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا**﴾ فالْأَوَّلُ نَهْيٌ عَامٌّ ،والثَّانِي نَهْيٌ خَاصٌّ، وَذَكَرَهَا بَعْدَ الْبَيْتِ لِيُنْتَهَى عَنْ قَصْدِ الْأَنْدَادِ الْمُضَاهِيَةِ لَهُ وَلِبَيْتِهِ مِنْ الْأَصْنَامِ وَالْمَقَابِرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَوَحَّدَ نَفْسَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَتَعَلَّقُ بِتَوْحِيدِهِ مِنْ الْآيَاتِ . ثُمَّ ذَكَرَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَأَطْلَقَ الْأَمْرَ فِي الْمَطَاعِمِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ بُعِثَ بِالْحَنِيفِيَّةِ وَشِعَارُهَا وَهُوَ الْبَيْتُ وَذَكَرَ سَمَاحَتَهَا فِي الْأَحْوَالِ الْمُبَاحَةِ وَفِي الدِّمَاءِ بِمَا شَرَعَهُ مِنْ الْقِصَاصِ وَمِنْ أَخْذِ الدِّيَةِ ثُمَّ ذَكَرَ الْعِبَادَاتِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالزَّمَانِ فَذَكَرَ الْوَصِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ الصِّيَامَ الْمُتَعَلِّقَ بِرَمَضَانَ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ الِاعْتِكَافِ ذَكَرَهُ فِي عِبَادَاتِ الْمَكَانِ وَعِبَادَاتِ"[1].

(1). المصدر نفسه.

ثم ختم بتنبيه مهم جدا على تناسب القرآن، وارتباط محاوره بعضها ببعض، وبيَّن وجه ذلك، وهو يدل على إدراك الإمام ابن تيمية لهذه الحقيقة، وهي اشتمال سور القرآن على مقاصد ومحاور كبرى، وارتباط هذه المحاور بعضها مع بعض، وهذا ما يسمى بالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، فقال:"فَتَدَبَّرْ تَنَاسُبَ الْقُرْآنِ وَارْتِبَاطَ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ وَكَيْفَ ذَكَرَ أَحْكَامَ الْحَجِّ فِيهَا فِي مَوْضِعَيْنِ : مَعَ ذِكْرِ بَيْتِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِمَكَانِهِ وَمَوْضِعٍ ذَكَرَ فِيهِ الْأَهِلَّةَ فَذَكَرَ مَا يَتَعَلَّقُ بِزَمَانِهِ وَذَكَرَ أَيْضًا الْقِتَالَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمُقَاصَّةَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالزَّمَانِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْمَكَانِ ؛ وَلِهَذَا قَرَنَ سُبْحَانَهُ ذِكْرَ كَوْنِ الْأَهِلَّةِ مَوَاقِيتَ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ. وَذَكَرَ أَنَّ " الْبِرَّ " لَيْسَ أَنْ يُشْقِيَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَيَفْعَلَ مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ النِّكَاحِ وَالْوَالِدَاتِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَمْوَالِ وَالصَّدَقَاتِ وَالرِّبَا وَالدُّيُونِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ خَتَمَهَا بِالدُّعَاءِ الْعَظِيمِ الْمُتَضَمِّنِ وَضْعَ الْآصَارِ وَالْأَغْلَالِ وَالْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَطَلَبَ النَّصْرِ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ مَا شَرَعَهُ مِنْ الدِّينِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ."[1]

وأحيانا يجمع الإمام ابن تيمية جميع موارد الآية ونظائرها مقارنا لها بفهوم الصحابة والتابعين مستخلصا دلالاتها الصحيحة، وهو ضرب من التفسير الموضوعي والذي يعرف بالمصطلح القرآني.

مثاله ضبط دلالة مصطلحي الحسنة والسيئة في كتاب الله، والذي يقول فيه: "وَالَّذِي عَلَيْهِ عَامَّةُ الْمُفَسِّرِينَ : أَنَّ " الْحَسَنَةَ " و " السَّيِّئَةَ " يُرَادُ بِهِمَا النِّعَمَ وَالْمَصَائِبَ . لَيْسَ الْمُرَادُ : مُجَرَّدُ مَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ بِاخْتِيَارِهِ بِاعْتِبَارِهِ مِنْ الْحَسَنَاتِ أَوْ السَّيِّئَاتِ.وَلَفْظُ " الْحَسَنَاتِ " و " السَّيِّئَاتِ " فِي كِتَابِ اللَّهِ : يُتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْمُنَافِقِينَ ﴿**إنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿**إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ**﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿**وَإِنَّا إذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ**﴾ وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْكُفَّارِ الْمُتَطَيِّرِينَ بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ : ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ**﴾ ذَكَرَ هَذَا بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ . وَأَمَّا الْأَعْمَالُ الْمَأْمُورُ بِهَا وَالْمَنْهِيُّ عَنْهَا : فَفِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى

(1) . المصدر نفسه:14/ 47.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقَوْله تَعَالَى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ وقَوْله تَعَالَى ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ . وَهُنَا قَالَ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ : وَمَا فَعَلْت وَمَا كَسَبْت . كَمَا قَالَ : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ إذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ . فَلِهَذَا كَانَ قَوْلُ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ و ﴿مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ مُتَنَاوِلٌ لِمَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ وَيَأْتِيهِ مِنْ النِّعَمِ الَّتِي تَسُرُّهُ وَمِنْ الْمَصَائِبِ الَّتِي تَسُوءُهُ . فَالْآيَةُ مُتَنَاوِلَةٌ لِهَذَا قَطْعًا. وَكَذَلِكَ قَالَ عَامَّةُ الْمُفَسِّرِينَ.قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم ذكر تفاسير السلف المؤيدة له فيما ذهب إليه."[1]

ويقرر قاعدة مهمة في التعامل مع المصطلحات والألفاظ القرآنية والنبوية: وهي أن ألفاظ القرآن والحديث إذا عرف معناها الشرعي لم يُحتج إلى اللغوي وفيه الرد على الخوارج والمرجئة (ومما ينبغي أن يُعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم؛ ولهذا قال الفقهاء:

((الأسماء ثلاثة أنواع)):نوع يُعرف حده بالشرع؛ كالصلاة والزكاة.ونوع يُعرف حده باللغة؛ كالشمس والقمر.ونوع يُعرف حده بالعرف؛ كلفظ القبض، ولفظ المعروف في قوله: ﴿وعاشِروهُنَّ بِالمَعْروفِ﴾، ونحو ذلك... فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك قد بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما يُراد بها في كلام الله ورسوله، وكذلك لفظ الخمر وغيرها، ومن هناك يعرف معناها، فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بيَّنه النبي – صلى الله عليه وسلم– لم يقبل منه، وأما الكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها؛ فذاك من جنس علم البيان، وتعليل الأحكام هو زيادة في العلم وبيان حكمة ألفاظ القرآن، لكن معرفة المراد بها لا يتوقف على هذا.

(1) مجموع الفتاوى :14 / 234.

واسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر هي أعظم من هذا كله؛ فالنبي – صلى الله عليه وسلم – قد بين المراد بهذه الألفاظ بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك؛ فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله؛ فإنه شافٍ كافٍ"[1].

وفي كتابه الإيمان الكبير ضبط مصطلح الإيمان الشرعي وبين شعبه وأركانه وثمراته، حاشدا كل ما ورد في القرآن الكريم والسنة في ذلك، وهو في ذلك موظف لمنهج التفسير الموضوعي على أكمل وجه وأتمه.

المطلب الثاني: مساهمة الإمام ابن القيم في التفسير الموضوعي تأصيلا وتطبيقا.

لقد كان للإمام ابن القيم عناية كبيرة بالتفسير ومعرفة واسعة به، وهذا واضح وجلي في مصنفاته الحافلة، ومما يلحظ في تفسيره عنايته بجمع الآيات ونظائرها في صعيد واحد، لاستخلاص المعاني الصحيحة لها، كما نجد له أعمالا مستقلة تجلت فيها منهجية التفسير الموضوعي بوضوح تام وهي:

1. كتاب "التبيان في أقسام القرآن": وقد جمع فيها كل الآيات التي ورد فيها قَسَم في كتاب الله ودرسها دراسة موضوعية ولغوية وبيانية بما لم يسبق إليه، وقد صنفه الشيخ يوسف القرضاوي في عداد التفسير الموضوعي[2]
2. كتاب "أمثال القرآن": وقد جمع فيها كل الآيات التي ورد فيها مَثَل في كتاب الله ودرسها دراسة موضوعية مستنبطا دلالاتها ومقاصدها بما لم يسبق إليه أيضا.
3. وكتاب "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين": وقد جمع فيها كل الآيات التي ورد في الصبر والشكر في كتاب الله ودرسها دراسة موضوعية مستنبطا دلالاتها ومقاصدها بتفصيل واستيعاب لم يسبق إليه أيضا.
4. كتاب "مدارج السالكين":شرح فيه كتاب أبي إسماعيل الهروي منازل السائرين بين مقامات إياك نعبد وإياك نستعين، وحيث تناول فيه الأعمال القلبية والسلوك القويم والخلق المستقيم، موظفا عشرات الآيات القرآنية في شرحها وبيان آثارها وثمراتها، وما يترتب عن الإخلال بها[3].

(1) المنتخب من كتب شيخ الإسلام : 1 / 74.

(2) . ينظر مقدمة كتابه الصبر في القرآن الكريم، مكتبة وهبة :ص 6.

(3) . ينظر.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت محمد حامد الفقي، دار السنة المحمدية.

5. كما أن له كلاما كثيرا في التفسير جمع بعضا منه بعنوان " التفسير القيم لابن القيم " ثم جمع بشكل مستوعب في كتاب " بدائع التفسير الجامع لما فسَّره الإمام ابن قيم الجوزية " يتجلى فيه منهج التفسير الموضوعي بوضوح، من حشد الآيات ذات الموضوع الواحد واستخلاص النظرة القرآنية الشاملة للموضوع[1].

المطلب الثالث: مساهمة الإمام ابن كثير في التفسير الموضوعي تأصيلا وتطبيقا.

ساق ابن كثير في مقدمة تفسيره[2] كلام شيخه الإمام ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير بنصه،فقال: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، ..."[3]. وهذا النص كما سبق يرسم معالم التفسير الصحيح، ويؤسس لمنهجية التفسير الموضوعي ومبادئه الأساسية بدقة.

وقد طبق الإمام ابن كثير هذا المنهج الذي رسمه شيخه تطبيقا دقيقا وشاملا في كامل تفسيره، فكان يجمع للآية كل ما يشبهها ويوضحها في سياق واحد، ويستخلص منها المعنى الصحيح، مستعينا بما ورد في السنة وأقوال السلف الصالح.

المبحث الثاني: مساهمة مدرسة ابن تيمية المعاصرة في التفسير الموضوعي

المطلب الأول: مساهمة الشيخ محمد رشيد رضا في التفسير الموضوعي

يعد الشيخ محمد رشيد رضا مجدد المدرسة السلفية الإصلاحية في العصر الحديث، وكان تفسيره المنار رائدا وملهما لكثير من المصلحين والمفسرين في المشرق والمغرب، ولا يخفى تأثر الشيخ محمد رشيد رضا بشيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته في فهم الإسلام عموما وفهم القرآن وتفسيره خصوصا، وقد استفاد من منهجه في التفسير، وتجلى ذلك من خلال ما نقله عنه في مقدمة تفسيره في كيفية التعامل مع الاختلاف المنقول في التفسير، وكيفية التعامل مع الإسرائيليات والأقوال التي لا يتوقف عليها فهم المقصود من الآيات [4] .

---

(1) . ينظر البدائع التفسير: جمعه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد، راجعه صالح أحمد الشامي، ط2، دار ابن الجوزي.

(2) . تفسير القرآن العظيم :30/1

(3) . سبق نقل النص كاملا في المطلب الأول.

(4) . مقدمة تفسير المنار، ص8.

وقد بين مقاصد تفسيره في واجهته إذ كتب تحت العنوان مباشرة فقرة توضح المنهج العام من هذا التفسير وهي: " هذا هو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول، **الذي يبين حكم التشريع، وسنن الله في الإنسان، وكون القرآن هداية للبشر في كل زمان أو مكان، ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر وقد أعرضوا عنها وما كان عليه سلفهم المعتصمون بحبلها**، مراعي فيه السهولة في التعبير، مجتنبا مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون، بحيث يفهمه العامة، ولا يستغنى عنه الخاصة، وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الأزهر حكيم الإسلام الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه " وما ذكره في هذه الفقرة يمثل أساسيات التفسير الموضوعي.

وكان الشيخ يكتب في الصفحة الأولى بعد العنوان مباشرة هذه العبارة بخط واضح " **تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي**" وهو بهذا يصرح بانتمائه للمدرسة السلفية الأثرية التي تسعى إلى إصلاح الواقع الديني والاجتماعي والسياسي انطلاقا من هدايات القرآن الكريم.

وقد استطرد في تفسيره المنار إلى عدد من الموضوعات الإصلاحية الفكرية والاجتماعية مستلهما في ذلك هداية القرآن الكريم ومستعملا في ذلك منهجية التفسير الموضوعي، والتي صرح بها في مقدمة تفسيره قائلا :"فَعَلَى الْمُدَقِّقِ أَنْ يُفَسِّرَ الْقُرْآنَ بِحَسْبِ الْمَعَانِي الَّتِي كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً فِي عَصْرِ نُزُولِهِ . وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَفْهَمَ اللَّفْظَ مِنَ الْقُرْآنِ نَفْسَهُ بِأَنْ يَجْمَعَ مَا تَكَرَّرَ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ وَيَنْظُرَ فِيهِ ، فَرُبَّمَا اسْتُعْمِلَ بِمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ كَلَفْظِ " الْهِدَايَةِ " – سَيَأْتِي تَفْسِيرُهُ فِي الْفَاتِحَةِ – وَغَيْرِهِ ، وَيُحَقِّقُ كَيْفَ يَتَّفِقُ مَعْنَاهُ مَعَ جُمْلَةِ مَعْنَى الْآيَةِ فَيَعْرِفُ الْمَعْنَى الْمَطْلُوبَ مِنْ بَيْنِ مَعَانِيهِ، وَقَدْ قَالُوا: إِنَّ الْقُرْآنَ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قَرِينَةٍ تَقُومُ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَى اللَّفْظِ مُوَافَقَتُهُ لِمَا سَبَقَ مِنَ الْقَوْلِ ، وَاتِّفَاقُهُ مَعَ جُمْلَةِ الْمَعْنَى، وَائْتِلَافُهُ مَعَ الْقَصْدِ الَّذِي جَاءَ لَهُ الْكِتَابُ بِجُمْلَتِهِ.

(ثَانِيهَا): الْأَسَالِيبُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِهَا مَا يَفْهَمُ بِهِ هَذِهِ الْأَسَالِيبَ الرَّفِيعَةَ. وَذَلِكَ يَحْصُلُ بِمُمَارَسَةِ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَمُزَاوَلَتِهِ، مَعَ التَّفَطُّنِ لِنُكَتِهِ وَمَحَاسِنِهِ، وَالْعِنَايَةِ بِالْوُقُوفِ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْهُ . نَعَمْ إِنَّنَا لَا نَتَسَامَى إِلَى فَهْمِ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى كُلِّهِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ وَلَكِنْ يُمْكِنُنَا فَهْمُ مَا نَهْتَدِي بِهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ . وَيَحْتَاجُ هَذَا إِلَى عِلْمِ الْإِعْرَابِ وَعِلْمِ الْأَسَالِيبِ (الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ) وَلَكِنَّ مُجَرَّدَ الْعِلْمِ بِهَذِهِ الْفُنُونِ وَفَهْمِ مَسَائِلِهَا وَحِفْظِ أَحْكَامِهَا لَا يُفِيدُ الْمَطْلُوبَ.تَرَوْنَ فِي كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا مُسَدَّدِينَ فِي النُّطْقِ يَتَكَلَّمُونَ بِمَا يُوَافِقُ الْقَوَاعِدَ قَبْلَ أَنْ تُوضَعَ ، أَتَحْسَبُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ طَبِيعِيًّا لَهُمْ ؟ كَلَّا ، وَإِنَّمَا هِيَ مَلَكَةٌ مُكْتَسَبَةٌ بِالسَّمَاعِ وَالْمُحَاكَاةِ ، وَلِذَلِكَ صَارَ أَبْنَاءُ الْعَرَبِ أَشَدَّ عُجْمَةً مِنَ الْعَجَمِ عِنْدَمَا اخْتَلَطُوا بِهِمْ . وَلَوْ كَانَ طَبِيعِيًّا ذَاتِيًّا لَهُمْ لَمَا فَقَدُوهُ فِي مُدَّةِ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ بَعْدِ الْهِجْرَةِ .

(ثَالِثُهَا) : عِلْمُ أَحْوَالِ الْبَشَرِ ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ هَذَا الْكِتَابَ وَجَعَلَهُ آخِرَ الْكُتُبِ ، وَبَيَّنَ فِيهِ مَا لَمْ يُبَيِّنْهُ فِي غَيْرِهِ . بَيَّنَ فِيهِ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ الْخَلْقِ وَطَبَائِعِهِمْ وَالسُّنَنَ الْإِلَهِيَّةَ فِي الْبَشَرِ ، قَصَّ عَلَيْنَا أَحْسَنَ الْقَصَصِ عَنِ الْأُمَمِ وَسِيَرِهَا الْمُوَافِقَةِ لِسُنَّتِهِ فِيهَا. فَلَا بُدَّ لِلنَّاظِرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ النَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الْبَشَرِ فِي أَطْوَارِهِمْ وَأَدْوَارِهِمْ ، وَمَنَاشِئِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ،مِنْ قُوَّةٍ وَضَعْفٍ، وَعِزٍّ وَذُلٍّ ، وَعِلْمٍ وَجَهْلٍ، وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ، وَمِنَ الْعِلْمِ بِأَحْوَالِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ عُلْوِيِّهِ وَسُفْلِيِّهِ،وَيُحْتَاجُ فِي هَذَا إِلَى فُنُونٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَهَمِّهَا التَّارِيخُ بِأَنْوَاعِهِ "[1].

كما نجده أفرد كتابا خاصا سماه" الوحي المحمدي" تحدث فيه عن مقاصد القرآن، تحت عنوان" مقاصد القرآن في تربية نوع الإنسان، وحكمة ما فيه من التكرار في الهداية، وإعجازه بالبيان" [2] وفصَّلها في عشرة مقاصد، استشهد لكل مقصد بالآيات المتعلقة به.وقد أبدع فيه أيما إبداع وسبق فيه سبقا كبيرا،وهذه القاصد هي:

المقصد الأول: في حقيقة أركان الدين الثلاثة، وضلال أتباع الرسل فيها.

المقصد الثاني:بيان ما جهل البشر من أمور النبوة والرسالة ووظائف الرسل.

المقصد الثالث: الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل والفكر والعلم والحكمة والفقه.

المقصد الرابع:الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني بالوحدات الثمان: وحدة الأمة، وحدة الإنسانية، والدين والتشريع والأخوة الدينية، والجنسية السياسية والقضاء واللغة.

المقصد الخامس: مزايا الإسلام العامة في التكاليف الواجبة والمحظورة.

المقصد السادس: في حكم الإسلام السياسي الدولي: نوعه وأساسه وأصوله العامة.

المقصد السابع: في الإرشاد إلى الإصلاح المالي.

المقصد الثامن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها، وقصرها على ما فيه الخير للبشر.

المقصد التاسع:إ عطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

المقصد العاشر:هداية الإسلام في تحرير الرقيق.

---

(1) . تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط1، مطبعة المنار: 23،21/1.

(2) . الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا ، دار الكتب، الجزائر، دت، ص 166، وما بعدها إلى نهاية الكتاب.

ولا شك أن كل مقصد من هذه المقاصد يعد موضوعا مستقلا بنفسه، وقد استطاع الشيخ محمد رشيد رضا أن يتناول كل هذه المقاصد بالدراسة الموضوعية، مستفيدا من آيات القرآن الكريم وهداياته، وإرشادات السنة النبوية الصحيحة، معالجا لكثير من الإشكالات العلمية والفكرية حول هذه القضايا، رادا للشبهات المثارة حولها، منزلا كثيرا من الآيات على الواقع المعيش للمسلمين في زمانه، مع محاولة إصلاحه وتقويمه، وهل التفسير الموضوعي غير هذا؟

المطلب الثاني: مساهمة الشيخ عبد الحميد ابن باديس في التفسير الموضوعي

لقد كان الشيخ العلامة المصلح عبد الحميد من العلماء المصلحين الذين ينتمون إلى المدرسة الإصلاحية السلفية التي تستمد من مدرسة ابن تيمية وتلاميذه قديما ومدرسة المنار حديثا، وقد فسَّر القرآن تفسيرا كاملا في دروس شفوية لم يصلنا منها شيء،ولكن لحسن الحظ كتب الشيخ عدة مقالات في التفسير جمعت في كتاب واحد بعنوان"مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" سلك فيه مسلكا من مسالك التفسير الموضوعي، وهو اختيار جملة من الآيات ذات الموضوع الواحد، وتفسيرها بربطها بقضايا المجتمع، ومحاولة توظيف هذه الآيات في الإصلاح والتربية، والتهذيب والتوعية، ومن الموضوعات التي تناولها الشيخ في مقالاته التفسيرية ما يمكن تصنيفها إلى عدة محاور: محور الدعوة، محور العلم ،محور الأخلاق القرآنية،محور بناء الأمم والنهوض بها، وغيرها وهذه بعض الأمثلة تجلي استعماله لمنهج التفسير الموضوعي، وسبقه فيه سبقا واضحا.

المثال الأول: محور الدعوة، وقد كتب فيه الشيخ عدة مقالات منها:

1/ دعوة أهل الكتاب[1] :فسر فيها آيتين من سورة المائدة وهي قوله تعالى:﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[المائدة : 15 ، 16]

2/سبيل السعادة والنجاة [2]: وفسر فيه قوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾ [يوسف : 108]

(1) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط1،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر،سنة 1982م،ص 51 وما بعدها .
(2) . المصدر نفسه،ص 59 وما بعدها .

3/كيف تكون الدعوة إلى الله والدفاع عنها [1]: فسر به قوله تعالى ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** (125)﴾ [النحل : 125] وهذه المقالات حول هذه الآيات تعرض فيها الشيخ لموضوع الدعوة من حيث ماهية الدعوة وأركانها وأساليبها،وكان الشيخ يضع في كل مقالة عناوين فرعية للموضوع المطروق بحيث تعطي تصورا شموليا للموضوع، ودائما نلحظ الشيخ يعنون بهذا العنوان في نهاية مقالاته: اقتداء ، اهتداء ، واهتداء واقتداء، أحكام وتنزيل، وغيرها للتطبيق العملي وتنزيل الآيات على الواقع.

محور الأخلاق والآداب القرآنية: ونمثل له بمثالين

المثال الأول:أصول الهداية في ثمان عشرة آية[2] : وقد فسر الشيخ في وحدة موضوعية هذه الآيات الثمان عشرة من سورة الإسراء من قوله تعالى ﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا** (22)﴾ [الإسراء : 22] إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا** (39)﴾ [الإسراء : 39] وكان الشيخ ينشر تفسير كل آية منها في مقالة خاصة تحدث فيها عن أصول العقائد والشرائع والأخلاق التي جاء بها القرآن مع الربط بالواقع المعيش ومحاولة إصلاحه.

المثال الثاني: القرآن يصف عباد الرحمن[3]: وقد فسر فيه أواخر سورة الفرقان من قوله تعالى ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** (63)﴾ [الفرقان : 63] مفصلا في صفات عباد الرحمن بنفس الطريقة السابقة.

محور بناء الأمم والنهوض بها: ونمثل له بمثالين أيضا

المثال الأول: ملك النبوة: مجمع الخير، ومظهر الجمال والقوة[1] وقد فسر فيه الشيخ اثني عشرة آية من سورة النمل من قوله تعالى:" ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ**

(1) . المصدر نفسه،ص 66 وما بعدها .
(2) . المصدر نفسه، ص94 وما بعدها .
(3) . المصدر نفسه، ص 271 وما بعدها .

الْمُؤْمِنِينَ (15)﴾ [النمل: 15 . 16] إلى قوله ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** (26)﴾ [النمل : 26] بنفس الطريقة السابقة منبها على أصول الملك والحكم العادل،

المثال الثاني:العرب في القرآن(2) وهو موضوع دقيق ومهم كان الغرض منه التنبيه على حضارة العرب قبل الإسلام، وخصائصهم التي أهليتهم لحمل الرسالة، ونشرها في العالمين، وتتبع فيه الشيخ رحمه الله ببراعة كل الآيات التي تحدث عن القبائل العربية التي كان لها شان وحضارة في التاريخ كعاد وثمود وسبأ.

هذه بعض النماذج تبين بوضوح وجلاء توظيف الشيخ لمنهج التفسير الموضوعي من خلال تفسيره.

المطلب الثالث: مساهمة الشيخ العلامة ناصر السعدي في التفسير الموضوعي

وعناية الشيخ السعدي بهذا اللون في تفسيره ظاهرة جدا لمن تأمله، وقد رسم الخطة المثلى للمفسر بما يوضح منهج التفسير الموضوعي فقد قال في مقدمة تفسيره:

"وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية. بقطع النظر عن المراد

وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. **فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها**. فمن وفق لذلك، لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقا ومفهوما، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورا لا تدخل تحت كسبه"(3).ولذا نجده يربط الآيات بعضها ببعض، ويستفيد منها معان وحكم وإرشادات يعالج بها قضايا كثيرة جدا .

---

(1) . المصدر نفسه،ص 328 وما بعدها .

(2) . المصدر نفسه، ص 425 وما بعدها.

(3) تفسير السعدي :1 / 30

كما نجد له مختصرا لهذا التفسير سماه "خلاصة اللطيف المنان في تفسير القرآن" سلك فيه مسلكا مغايرا حيث رتب فيه الآيات القرآنية على الموضوعات الأساسية للقرآن الكريم، وهو في صميم التفسير الموضوعي،وهذه الموضوعات هي:

1. علوم التوحيد والعقائد والأصول: أي أسس العقيدة في القرآن
2. بعض الآيات الحاثة على القيام بحقوق الله وحقوق الخلق:أي أسس الأخلاق وحقوق العباد في القرآن وحقوق المولى تبارك وتعالى وذكر فيها العبادات المختلفة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرها.
3. فصل في آيات تتعلق بالجهاد وتوابعه: أي أحكام الجهاد وآدابه كما جاءت في القرآن
4. فصل في البيوع وأنواع المعاملات: أي أسس المعاملات المالية في القرآن الكريم.
5. فصل في آيات الحدود: أي بين فيه أسس النظام الجزائي كما ورد في القرآن الكريم
6. فصل في الأيمان و نحوها: وبين فيه أحكام اليمين وما يتعلق بها
7. فصل في آيات في الأطعمة ونحوها والصيود وتوابعها: وبين فيه أحكام الأطعمة وما يحل منها وما يحرم.
8. فصل في جوامع الحكم والقضايا في الأصول والفروع: وبين فيه أسس النظام القضائي في القرآن الكريم.
9. فصول في ذكر ما قص الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم: وبين فيه القصص القرآني وما فيه من عبر وعظات ودروس عقدية وتربوية
10. قصة خاتم النبيين وإمام المرسلين وغزواته: وبين فيه السيرة النبوية كما يجليها القرآن.

فهذه عشر محاور كبرى وزع فيها جل الآيات القرآنية، مع بيانها وتفسيرها، وهي محاولة جيدة تدخل في بيان مقاصد القرآن الكلية، ومحاوره الكبرى، وهو لون من التفسير الموضوعي.

ثم ختم كتابه بأبواب بين فيها بعض المصطلحات والكلمات في القرآنية التي يكثر دورها في القرآن وبعضها له أكثر من معنى وهذا أيضا مهم وهو يتعلق بالمصطلح القرآني، وهو أيضا لون آخر من التفسير الموضوعي[1].

(1). خلاصة اللطيف المنان في تفسير القرآن،دار عالم الكتب، سنة 2003م ، ص 357.

المطلب الرابع: مساهمة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في التفسير الموضوعي

ومن العلماء الكبار في هذه المدرسة الذين أسهموا في درس التفسير الموضوعي ضمن موسوعاتهم التفسيرية الإمام العلامة محمد الأمين الشنقيطي وذلك من خلال كتابيه: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" وهو تفسير كامل وحافل يفسره الآيات بنظائرها، ويستطرد في بيان كثير من الموضوعات القرآنية، والتي تعد بحوثا ودراسات مستقلة في التفسير الموضوعي، والكتاب الثاني "دفع موهم الإضراب عن آي الكتاب" حشد كل الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض، ووفق بينها بطريقة علمية محكمة.

خاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

أولا:أصالة منهج التفسير الموضوعي عند المدرسة السلفية الإصلاحية بدءا بإمامها شيخ الإسلام ابن تيمية ثم تلاميذه من بعده.

ثانيا: إسهام المدرسة السلفية المعاصرة في التفسير الموضوعي وتوظيفه بشكل واسع جدا في الجوانب العلمية والإصلاحية والدعوية انطلاقا من الشيخ رشيد رضا وأتباع مدرسته من المعاصرين.

ثالثا:شمولية منهج التفسير الموضوعي في هذه المدرسة وتعدد آلياته المنهجيه الموظفه فيه، فقد وظف فيه تفسير القرآن بالقرآن والسنة الصحيحة وآثار السلف وكذا مراعاة قواعد اللغة، ودلالات السياق، والمناسبات ،والوجوه والنظائر ومراعاة السنن الإلهية والقوانين الكونية مع النظر إلى واقع الناس ومحاولة إصلاحه وتغييره.فهو بهذا يمثل صورة ناضجة وصحيحة من هذا المنهج بخلاف تطبيقاته في مدارس واتجاهات أخرى استبعدت السنة وآثار الصحابة، واكتفت بالقرآن وحده والعلوم اللغوية

رابعا: غزارة الإنتاج العلمي لهذه المدرسة، وتنوعه ليشمل التفسير الموضوعي لسورة واحدة أو موضوع واحد في كل القرآن،أو موضوعا من موضوعات سورة من السور ، أو مصطلحا من المصطلحات القرآنية.

خامسا:نوصي بتعميق البحوث في مساهمة هذه المدرسة التي هضم حقها ولم يبرز فيها هذا الجانب المهم في التعاطي مع القرآن الكريم وتفسيره .

وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

قائمة المصادر والمراجع

1. الأمثال في القرآن:ابن قيم الجوزية، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة بيروت 1981م.
2. الإيمان الكبير: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، حققه وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني،ط4، المكتب الإسلامي – بيروت1413 هـ- 1993 م.
3. بدائع التفسير الجامع لما فسَّره الإمام ابن قيم الجوزية : جمعه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد، راجعه صالح أحمد الشامي، ط2، دار ابن الجوزي.
4. التبيان في أقسام القرآن: ابن قيم الجوزية: ، **دار الفكر،دت.**
5. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار):محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى:1354هـ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة 1990 م
6. تفسير القرآن العظيم:أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 –774 هـ] تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط2،دار طيبة للنشر والتوزيع،سنة 1420هـ - م1999م.
7. التفسير القيم لابن القيم:جمع وترتيب / محمد أويس الندوى،
8. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة،سنة 1420هـ –2000 م.
9. الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون،: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
10. الجامع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير
11. خلاصة اللطيف المنان في تفسير القرآن،دار عالم الكتب، سنة 2003م ، ص 357.
12. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات): أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد السيد الجليند،ط2- مؤسسة علوم القرآن – دمشق، سنة 1404هـ.
13. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني،ط1،دار المعارف،الرياض – المملكة العربية السعودية،سنة : 1412 هـ / 1992 م.
14. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: دار الكتاب العربي . بيروت

15. الصبر في القرآن الكريم،الدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة،دت.
16. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق : زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية – بيروت،دت.
17. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط1،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر،سنة 1982م
18. مجموع الفتاوى، جمع محمد ابن قاسم وابنه، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية.
19. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت محمد حامد الفقي، دار السنة المحمدية.
20. المسند: أحمد بن حنبل، تحقيق وتخريج الشيخ شعيب الأرناؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة.
21. مقدمة في أصول التفسير مع شرح الشيخ ابن عثيمين،مدار الوطن للنشر،
22. المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية:انتخبه وخدمه علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، المكتبة الشاملة.
23. الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا ، دار الكتب، الجزائر، دت.